http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1355) السنة السادسة -الثلاثاء (28) تشرين الاول 2008

«أشجار قليلة عند المنحنى» لنعمات البحيري تقدم شهادة نادرة عن العراق

عبد الخالق كيطان

الواقع الذي انطلقت منه الكاتبة المصرية نعمات البحيري في روايتها الصادرة عن دار «الهلال»: «اشجار قليلة عند المنحنى»، هو العراق الآن، وليس العراق المتخيل كما يصوره بعض الكتاب العرب والذين يزورون بغداد بين حين وآخر مدعوين في مهرجاناتها الكرنفالية المختلفة فلا تتاح لهم الفرصة، او هم لا يرغبون اصلا، الا بالاطلاع على فخامة فندقي المنصور ميليا والرشيد، حيث الاقامة المكيفة، ثم بموائد هارون الرشيد العامرة بالرقص والغناء والشراب والطعام والتي تقام للضيوف كسرا للحصار الجائر! ولم يفت الكاتبة تدوين شيء من تلك الكرنفالات عبر احدى شخصيات الرواية، تبني البحيري روايتها على «حدوتة» صغيرة جدا: عراقي يتعرف الى مصرية فيقرر الزواج منها ومن ثم يقرران معا العيش في وطن الزوج، وهي حدوتة ليست مستحيلة ابدا، فالحب كفيل باذابة الحدود وما بينها، على ان بطلة الرواية (اشجان مصري) تكتشف عكس ذلك بنفسها، فالحب لا يكفي احيانا، او بالاحرى لن يصمد كثيرا امام الضربات المتتالية التي يوجهها له الواقع، وأي واقع؟ لقد تخيلت اشجان مصري بزواجها من العراقي (عائد حسون) انها ستعيش جنة الحب بالرغم من ممانعات والدها، المنطقية دائما، ولكنها اصطدمت بعنف الواقع بشراسة وقسوة. الواقع الذي يتحول فيه الجميع الى متهمين بلا سبب او ذنب اقترفوه، والواقع الذي يدعو الجميع لان يشك بالجميع. لقد كانت في مصر تنعم بقسط وافر من الحرية، حرية اهلتها لان تخرج من البيت وحدها الى اي مكان تشاء على سبيل المثال، ولكن الامر مختلف تماما في بغداد، فالعيون تراقب الغريبة اينما حلت، والزوج ما انفك يحذرها من مجتمع الخارج (خارج المنزل) فالآخرون في بغداد (هم الجحيم) بامتياز تام.. واذا ما حاولت البطلة ان تعايش ولو اصحاب الزوج فانها سوف تصطدم من جديد بتحذيراته من هؤلاء، فهم على الاغلب: مخابرات!، وهو محق في ذلك كثيرا، بسبب من استحكام عقدة الخوف في نفوس غالبية مواطني هذا البلد، الخوف الذي يدفعهم الى تعليق صور السيد الرئيس في اكثر المناطق حساسية، فالبطلة تؤكد انها شاهدت، وكذلك شاهد غيرها صور الرئيس حتى في الحمامات وغرف النوم، ويستبد بها التوتر وهي ترى الرئيس في صوره تلك مبتسما دائما، او طبيبا في المؤسسات الطبية، او قديسا في دور العبادة او عسكريا في مواقع الحرب ودوائره الاخرى.تصف المؤلفة في اثني عشر جزءا من اجزاء الكتاب الثلاثة عشر مشاعر اشجان مصري في زواجها هذا، فيما لا تترك للزوج سوى جزء واحد يتيم لكي يعبر عن هواجسه وافكاره من الموضوع ذاته، الزواج القدري بوجه من وجوهه، ونعتقد ان ذلك هو ابرز ما يمكن مؤاخذة الرواية عليه.. فأشجان مصري تأخذ مساحتها كاملة في التعبير عن ما يجول بخاطرها بصدد زيجتها من العراقي عائد، الا ان الزوج بالمقابل لم يأخذ حصته، او اقل من حصته لشرح وجهة نظره فيما يجري من احداث، الكثير منها غريب جدا، ويبدو انه انحياز ابتدائي لشخصية البطلة، ما يدفع بالتالي لكي ينحاز القارئ مع معاناتها الكبيرة.. واذا كانت التفاصيل الكثيرة، والمتكررة، التي تسردها البطلة هي محل اتفاق لا مناص منه بسبب روح (دولة المنظمة السرية) التي تقذف البطلة في متنها، فان بطل الرواية مطالب ايضا بالدفاع عن وجهات نظره، وان تضمن سرد البطلة شيئا ضمنيا من ذلك، اذا ما تذكرنا تناقضه الواضح، والذي تشير اليه الزوجة مرارا بينه في الليل وبينه في النهار، حيث الليل والخمر يكشف تناقضه وتوقه للحرية التي منع عنها: «اي الرجال زوجي؟ اهذا الذي اراه في النهار منسجما مع صور السيد الرئيس والبيانات العسكرية وافراح النصر في التلفزيون، ام انه الذي اراه في الليل غاضبا وثائرا وشاربا ومخمورا وناسيا او متناسيا انني زوجته؟ ص١٣٨.تفضح البطلة في سردها المليء بالالم والحنين الكثير من الازمات التي يعاني منها المجتمع العراقي اليوم، وهي تتحدث بالتحديد عن سنوات الحرب مع ايران، حيث تشير بشكل متكرر الى ظاهرة (لافتات الشهداء) التي تتكاثر على حيطان الشوارع والازقة في مدينة بغداد، وتشير ايضا الى ظاهرة الشعراء من مادحي الرئيس من اجل التكسب، وازمة عدم الثقة التي تشمل جميع المواطنين بلا استثناء، حيث تتكرر جملة «ان فلان مخابرات»، او يعمل مع الحكومة او مع الحزب حتى انها تسأل بعفوية طفلة: «بعدها رحت اتساءل في نفسي عن سر الحزب الذي يضم افراد شعب بكامله». ص ١٢٤.كما تشير الى صور الرئيس التي تنتشر في كل مكان بلا استثناء، وتلقي البطلة الضوء على نظرة ابناء هذا البلد للمواطنة المصرية المستوحاة غالبا من المسلسلات التلفزيونية، وهي نظرة فيها الكثير من الإجحاف فيما توغل في دراسة ظاهرة الجالية المصرية في عراق الثمانينات، تلك الجالية الضخمة جدا والتي عمل اغلب افرادها في مهن خدمية.«تذكرت انني ظللت انتظر انس الخال طويلا، ثم تكشف لي انها جاءت الى هنا في تلك المرة الوحيدة، زارت الجبهة باعتبارها صحافية وكاتبة، فاذا بعدد كبير من الجنود المصريين يلتفون حولها ويتوسلون ان تبلغ حكايتهم للسلطات. حكوا لها انهم قد جيء بهم من شوارع المدينة وقد صودرت جوازات سفرهم وشحنوا مثل البهائم الى الجبهة، منهم من مات ومن أسر وكثير منهم ما زالوا ينتظرون اقدارهم». ص ١٣٦.وتسأل اشجان مصري ثلاثة اسئلة منطقية جدا، ولكنها لا تعثر ابدا على جواب لتلك الاسئلة، تقول في الصفحة ١٢٦: «كنت اتمنى ان يكون لي دور آخر غير تبديد السأم على نفسه القلقة. كل وعوده ذهبت قبض الريح، والاسئلة مثل رؤوس حادة وأسنة سكاكين في رأسي. لماذا يجعل بيني وبين الشارع والناس سدا منيعا؟ لماذا تضطرب علاقاته بالآخرين، خاصة الذين يرتدون الزي العسكري؟ لماذا جعلني غير قادرة على مد جسور رحبة بيني وبين الجيران، بيني وبين اهله، بيني وبين اصدقائه وصديقاته؟».واللافت في بطل الرواية انه ينتمي لنخبة البلد المثقفة، فقد كان يعمل رئيسا لتحرير احدى المجلات، وصحافيا في عدد من الصحف، بل انه كما يبدو للعارفين في شؤون الصحافة في العراق، كان واحدا من صحافيي السلطة بدليل تمثيله لها في الكثير من المحافل العربية والدولية، وهو تعرف الى اشجان مصري في القاهرة ابان مشاركته في محفل ثقافي فيها ممثلا عن العراق، ومعروف ان من كان يسافر خارج العراق في سنوات الثمانينيات هم فقط رجال السلطة، سواء اكانوا سياسيين او صحافيين. اللافت في هذه المعلومة هو السر الذي اقلق بطلة الرواية عندما شاهدت زوجها يخبئ عنها شيئا ما في المطبخ «كانت ثيابا كاكية اللون تماما كثياب الضابط والحرس والعسكر والسيد الرئيس، تحوي بين طياتها مسدسا ثقيلا وبقعا من الدم»، ص ١٤٠، واذا ما تذكرنا اشارة البطلة السابقة بكون زوجها كان يعمل ضمن تنظيمات حزبية قضي عليها من قبل الحزب الحاكم اليوم، ولولا تدخل احد اصدقائه من عناصر الحزب الحالي لكان عائد حسون قد لقي حتفه اعداما.. هذه الملاحظة وملاحظة الزي العسكري والمسدس ثم تقلبات الزوج بين الليل والنهار تضع القارئ في حيرة حقيقية: هل عائد حسون نموذج للمثقف الانتهازي الذي يبدل جلده مع تبدل الظروف؟ او انه يلعب لعبة كبيرة مع السلطة التي جردته من وظيفته في رئاسة تحرير المجلة وسحبت عضويته من الحزب وحاصرته بسبب زواجه من مصرية، لعبة شعارها الرئيس هو المقاومة؟ الرواية ممثلة بروايتها الاولى، اشجان مصري، لا تعطينا اجابة شافية عن مثل هذا السؤال الخطر والحيوي.. وامعانا في تكثيف حيرة القارئ بهذا الخصوص تحديدا تنشئ المؤلفة نهاية غير متوقعة في بنائها السردي متوقعة في جانبها المضموني: يقرر الزوج العراقي استخراج وثيقة شهادة الجنسية والجنسية لزوجته المصرية وفي الدائرة المختصة تعيش الزوجة اجواء تحقيق بوليسي حول زوجها الذي عزل في غرفة ثانية، وفي التحقيق تعترف بقصة المسدس والزي العسكري الملطخ بالدم، يجوم وجه الضابط المحقق وفي لحظات حلمية تجدر شجان نفسها في: «متاهة الضيق والصدى والدوار ارتطمت بجدار اصم، ورحت افتش عن فتحة في الجدار وانادي «عائد» ولا احد يرد، وانادي ولا احد، واصرخ ولا احد».. ص ١٦٦ نهاية الرواية.. فمن هو عائد حسون؟ ومن هي اشجان مصري؟تحيل التسميات الى المضامين، ولعل في تسمية بطلة الرواية دلالة بالغة الوضوح على ان في تسمية الزوج العراقي عائد دلالات عديدة اهمها في تقديرنا رغبة الحبيبة، الزوجة، بعودة حبيبها من سجنه الكئيف اليها كما عرفته في القاهرة متحررا من الكابوس الجاثم على انفاسه والذي لمسته بعمق في اثناء حياتها الزوجية القصيرة (امتدت لاقل من شهرين) في مدينة الزوج، السجينة هي الاخرى: بغداد.ان رواية نعمات البحيري «اشجار قليلة عند المنحنى» وان لم تشر صراحة الى هوية موطن زوج البطلة، الا ان كل الدلائل تشير الى انه العراق وليس اي وطن آخر، تمثل قراءة عربية جريئة لوصف حال التناقض المريع الذي يعيشه العراق منذ عقود.

نعمات البحيري

* الكتاب: اشجار قليلة عند المنحنى
* المؤلف: نعمات البحيري
* الناشر: روايات الهلال، العدد ٦٢٤ عام ٢٠٠٠

الشرق الأوسط في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٣

خـــارج الـــمـــدى

هامشية المنابر والمراكز

جمال ناجي

لا تتضمن اللغة المحكية لفظا دارجا من نوع الهامشية ، لذا فإن " التهميش " في بلادنا يكاد يفقد صلته بالارصفة ليصبح نخبوي التابعية .

والهامشية التي يعاد انتاجها الآن ليست اكثر من تشخيص لواقع ثقافي و شعبي متنازع عليه، على الرغم من رثاثته ، وعلى الرغم أيضا من المحاولات الدؤوبة التي يقودها بعض المثقفين للإنتصار للفقراء والمسحوقين والمستضعفين.

ما يثير الاستغراب في الامر ، ان لدى المثقفين في معظم بلدان العالم ، ما يشبه الهوس بالهامشية التي تتخذ لديهم ترجمات ذهنية قابلة للنقاش والتداول في الندوات والجلسات ، لكنها بالقطع ، غير قابلة للترجمة السلوكية !

ولمثقفي النخب عذرهم في هذا ، إذ من هو البالغ العاقل الذي يرتضي حياة الهامشية طالما هو قادر على البقاء في المركز او بالقرب منه ؟

لكن ، ومع تفهم هذا العذر ، فإن التساؤل حول أسباب استثمار الهامشية من قبل النخب المقتدرة سياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا ، يبدو مشروعا إذا بدر عن المهمشين الحقيقيين .

هل تعيش النخب حالة من التهميش ؟ نعم بالتأكيد ، لكن بكيفية مختلفة عما هو وارد في أدبياتها المعلنة، فهي تعاني تهميشا من نوع خاص برغم استحواذها على المراكز والمناصب والمنابر ! وإذا كان ثمة من لم يتوصل إلى اسباب هذه المعاناة النخبوية ، فليبحث في سلالم التراتبية : الثقافية ، السياسية ، الاقتصادية ، والاجتماعية .

فالإحساس بالهامشية حاضر لدى النخبوي لأن ثمة من هو أعلى مرتبة منه ، وهذا بدوره يحس بالتهميش لأن ثمة من هو أهم منه أيضا ، وهكذا تتسلسل الهامشية الى ان تصل رأس الهرم ، وهو النخبوي الوحيد الذي لا يشعر بالتهميش لأن لا أحد أكثر أهمية منه .

ضمن هذا التسلسل المفزع لهامشية المنابر والمراكز ، فإن الجميع مهمشون الا واحدا . ويمكن تطبيق هذا التسلسل حتى على مستوى الكرة الارضية ، والكون ايضا !

لكن ، إذا كان هذا هو منبع الإحساس بالهامشية لدى النخب ومبعث ضجرها . وهو كذلك حسب اجتهادنا . فإن كل ما يقال ويكتب عن المهمشين ليس أكثر من هدر للاحبار والقرطاسية وأكواب الشاي الساخن الذي يقدم للمتحاورين المتبرمين في القاعات المكيفة .

حين يصرخ المهمشون فإنهم يعرفون مسبقا بأنهم سيزدادون تهميشا ، أما لماذا يصرخون ؟ فهذا سؤال يبز في سذاجته السؤال عن أسباب وجود الجاذبية الارضية .

احيانا تستخدم الهامشية كغطاء خشن لأنواع من المركزية المستترة المدببة، التي تريد بسط نفوذها على اطراف الاطراف ، ومزاحمة الهامشيين حتى على حاويات النفاية التي تمثل مصدرا لثراء المركزيين حسب مواقعهم في سلم التراتبية ، وذلك عن طريق إعادة تدوير تلك النفايات وتصنيعها وتسليعها ، مع التنويه الى أن إعادة التدوير قد تطال ما هو ثقافي وفكري حين يكون قابلا للاستثمار .

هكذا تتحول الهامشية المقنّعة الى نوع من " البزنس" المرموق.

ماذا يعني ان تكون هامشيا حقيقيا ؟

إنه يعني بشكل ما أنك معافى من البيروقراطية ، متحررا من الأطماع والحسابات ، مبعدا عن دائرة الحظوة والضوء حتى لو امتلكت ذكاء اينشتاين أو كوبرنيكس .

وماذا يعني أن تصبح هامشيا بعد ان كنت محوريا ؟ انه يعني ببساطة شفاؤك من النقرس الثقافي او السياسي او الاقتصادي الذي يحيل المرء الى مجرد رخ هرم ثقيل ، على الرغم من حراكه الفيزيائي.

المهمشون ليسوا مجرد أشخاص وجدوا اسماءهم في قائمة المهمَلين المنسيين ، انما هم قبل هذا ، أناس يشكلون نبض الحياة في المدينة رغم انهم يعيشون على فتاتها ويفترشون ارصفتها ، انهم هم ، اولئك الذين لا صوت لهم في المدائن التي يصخب في ليل انديتها كثير ممن يروق لهم ان ينافسوا المهمشين على امتياز التهميش ، بهدف تجريدهم من الشيء الوحيد الذي يمتلكونه : اسمهم .

عراقي ضمن قائمة أفضل الشعراء العرب لعام 2008

بغداد/ أصوات العراق

أعلن تجمع شعراء بلا حدود، الأحد، عن أن مجموعة من الشعراء ينتمون إلى اثنتي عشرة دولة عربية جرى انتخابهم ضمن قائمة أفضل شعراء عام ٢٠٠٨ في إطار احتفاله في عمان باليوم العالمي للشعراء العرب الذي صادف يوم أمس بينهم الشاعر العراقي يحيى السماوي.

وذكر بيان للتجمع تلقت (أصوات العراق) نسخة منه أن "الشعراء هم ماجد الخطاب من سوريا ويحيى السماوي من العراق وحسن المعيني من السعودية وحسن طلب من مصر ومراد العمدوني من تونس وغيداء الأيوبي من الكويت ومهند ساري من الأردن وأمال عواد رضوان من فلسطين وإبراهيم محمد إبراهيم من الإمارات وأحمد الحسن الأحمدي من المغرب وأحمد ولد عبد القادر من موريتانيا وسيلفا حناحنا من لبنان".

ولفت التجمع في بيانه إلى ان "إطلاق لقب شاعر العام يأتي ضمن جهود يقوم بها التجمع لتفعيل وجوده في الساحة الثقافية العربية والتي منها أيضاً الإعلان عن جائزتين للشعر العربي وتفعيل منتديات التجمع الكترونيا وورقيا وعلى أرض الواقع وانتساب عدد كبير من المبدعين والنقاد إلى التجمع إضافة إلى إقامة عدد من الأمسيات والفعاليات الثقافية في بعض الدول العربية".

وتجمع شعراء بلا حدود هو تجمع للشعراء العرب تأسس في عمان في الـ ٢٥ من شهر تشرين الأول تشرين الاول من العام الماضي، يقيم أول مرة يوماً عالمياً للشعراء العرب، وعقد مؤتمره الأول للفترة من (٢٢-٢٤) من تموز ٢٠٠٨، كما نظم مسابقته الشعرية الدولية الأولى التي أعلنت نتائجها أمس، والإعلان عن المسابقة الشعرية الدولية الثانية والتي تحمل اسم الشاعر الراحل محمود درويش.

ويحيى السماوي، شاعر عراقي، مواليد ١٩٤٩ السماوة، خريج كلية الآداب الجامعة المستنصرية، عمل في التدريس والصحافة والإعلام ، وله قصائد عيناك دنيا، قصائد في زمن السبي والبكاء، قلبي على وطني، جرح باتساع الوطن، من أغاني المشرد، الاختيار، رباعيات، عيناك لي وطن ومنفى، هذه خيمتي .. فأين الوطن ..؟ ، أطبقت أجفاني عليك ، الأفق نافذتي ، زنابق برية ، نقوش على جذع نخلة ، قليلك ... لا كثيرهن .

ونشر قصائده في العديد من الصحف العراقية والعربية والأسترالية ، وترجمت له الشاعرة الأسترالية إيفا ساليس مختارات شعرية تحت عنوان (Tow Banks With no Bridge)، صدرت ضمن منشورات (Picaro) للنشر والتوزيع. كما ترجم له الدكتور صالح جواد الطعمة ، الدكتور رغيد النحاس، والشاعرة الأسترالية آن فيربرن.

وشارك في العديد من المهرجانات الأدبية العربية والعالمية. وكتب عنه نقاد منهم : د. علي جواد الطاهر- د. عبد الملك مرتاض- د. عبد العزيز المقالح د. عبد الله باقازي- د. غازي القصيبي- د. عبد العزيز الخويطر- د. جميل مغربي وآخرون، وفاز مؤخراً بجائزة مؤسسة البابطين الشعرية عن ديوانه (نقوش على جذع نخلة).

متابعة — في مسابقة الشؤون الثقافية 2008

الدباغ في الشعر وابراهيم في القصة والياسري في النقد

المدى الثقافي

اعلن السيد نوفل ابو رغيف المدير العام لدار الشؤون الثقافية العامة عن نتائج المسابقة الثقافية التي قامت بها الدار للشعراء والقصاصين والنقاد العراقيين لعام ٢٠٠٨ وقامت بتحكيم المشاركات لجان متخصصة وكانت النتائج:

في الشعر فاز بجائزة الشعر الاولى الشاعر حسن سالم الدباغ عن قصيدته (لمصابيحك ارتديت عنفي وبالجائزة الثانية حميد حسن جعفر عن قصيدة (ذئاب وحملان وليلى) والثالثة محمد طالب الاسدي عن قصيدته (عراقيون نحن).

وفي القصة القصيرة فاز بالجائزة الاولى عبد الستار ابراهيم عن قصته (مدونات الكائن الاثري) والجائزة الثانية خالد ناجي ناصر عن قصته (حديث بني عجبان) والجائزة الثالثة حسن عبيد عيسى عن قصته (كلاب)

النقد

فاز بالجائزة الاولى الناقد محمد قاسم الياسري عن دراسته (الانتقال) من منظور الاناسة السياسية الى منظور الاناسة الثقافية).

والجائزة الثانية حسن السلمان عن دراسته (حقيقة الشخصية اليهودية في الرواية العراقية الجديدة).

وبالجائزة الثالثة جاسم محمد جاسم عن دراسته (رعد عبد القادر/ دراسة نقدية) وقد خصصت الدار مليون دينار للفائز الاول في كل حقل من الحقول الثلاثة وسبعمئة وخمسين الف دينار للفائز الثاني وخمسمئة الف دينار للفائز الثالث.

وستقيم الدار حفلا لتوزيع الجوائز بحضور نخبة من المثقفين والمبدعين العراقيين والسادة اعضاء لجنة التحكيم يوم ٢٠٠٨/١١/٣ على قاعة غائب طعمة فرمان في الدار.

وجهة نظر

الدراما العراقية ومطرقة الفضائيات

د.عواطف نعيم

طوى رمضان المبارك ايامة الطيبة ومر على العراقيين مرور الكريم على صحبه الموجوعين بالخوف والانتظار والصبر ،استعانوا به لاحتمال واقع الحياة اليومي اليباس ،عل الدعاء والرجاء يصل الى ملكوت الله فيبعث رحمة وألفة ورفقا يحيل ايامهم القادمات الى امان، واطل مع رمضان تيار من البرامجيات والمسلسلات والفعاليات التي كان للعبة المحيبس القدح المعلى فيها،وتنافست الفضائيات العراقية في تقديم كل ما تستطيع تسويقه الى المتلقي العراقي خلال هذا الشهر الفضيل،فأقتحمت عليه حياته بما كان يدعو الله كي يجنبه اياه. فحوادث الاختطاف والقتل والرعب التي يعيشها يوميا طالعها عبر تلك الفضائيات على شكل مسلسلات تلفازية تظهر وتعكس بشاعة مايحدث في العراق من قتل يومي وموت عبثي ومفخخات وعبوات وتنازعات وتهجير قسري ومنازعات وتحزبات وتفرقة طائفية وعوضا عن بث روح الامل والتسامح والتأكيد على اللحمة العراقية ولم الصف العراقي لمواجهة كارثة الاحتلال والاتفاق لحفظ سيادة وطن .تعاونت اغلب الفضائيات العراقية وبتنافس حام على عكس الصورة القاتمة ،في حين اتجه عدد اخر من الفضائيات العراقية لتقديم اعمال تهريجية كل مافيها مسطح وركيك تحت ذريعة النقد والتعريض والاحتجاج من دون ان تطرح البدائل وتناشد العقل الواعي .فكأن القائمين على تلك الاعمال كانوا يهدفون الى استغفال المتلقين والضحك على ذقونهم بحجة النقد والتعريض !!وفضائية عراقية مرصود لها ميزانية كبيرة من المال العراقي العام اكتفت بمسلسلات تلفازية اعادت الدراما العراقية الى بدايتها في بدائيتها وسذاجتها وسطحيتها ،ولكي نكون اكثر وضوحالابد لنا من مناقشة الدراما العراقية التي تتعرض الان الى تشويه وتعويم ونكوص بروح التأمل الموضوعية منطلقين من معايير وقيم فنية وجمالية ومن تاريخ حافل بالانجاز والتميز لعدد من المسلسلات والبرامجيات التي تعد علامات مضيئة في المشهد التلفازي العراقي.تناوبت على العمل الدرامي فضائيات عراقية هي الشرقية والبغدادية والسومرية والعراقية ولعل الشرقية والبغدادية اكثر الفضائيات العراقية تحركا وانجازا في مجال الدراما التاريخية والمعاصرة. فقد تناولت الشرقية ومن خلال شهر رمضان نصوصا درامية لكتاب عراقيين وفضلت انجاز تلك الاعمال على الاراضي السورية واوكلت الانتاج الى اسماء معينة كما قامت البغدادية بتقديم اعمالها من داخل الاراضي العراقية وتولت انتاج تلك الاعمال من خلال ممثليها ومنتجيها المنفذين والعاملين داخل الفضائية في بغداد .اما السومرية فأنها تناوبت في انتاج اعمالها مابين الاراضي العراقية والاراضي السورية .القاسم المشترك في اغلب تلك الاعمال انها تصدت للواقع العراقي فقدمته قاتما بشعا محبطا وليس ثمة امل للقادمين وليس ثمة منفذ للامان.بل ان احد المسلسلات التلفازية حول بغداد الى مقبرة ورسم علامة تحذير كبيرة من العودة اليها اذ ان الموت هوالمآل امام من يتوجه الى بغداد ..اينما ولى المتلقي العراقي وجهه فهو امام وجوه مرتاعة وافواه صارخة ورصاص ينهمر لايعرف التمييزووحشة وقسوة .او انه امام سفاهة وتهريج واجساد عارية تتلوى وصدور تهتز امام عدسات التصوير وكأن رمضان فتح شهيتهم لكل ماهو مسئ ومنفر ومخجل .ولسنا ضد الرقص والموسيقى فهي فنون ترتقي بالذائقة وترقق الطباع وتغذي الروح لكننا ضد كل ماهو مبتذل ومخل بالحياء والقيم ..وبعد كارثة الاعمال التلفازية ومغالطاتها التاريخية وضعفها الفني ومضمونها المكرور وحدودها الضيقة وافتقارها لعناصر الجمال في التكوين والتركيب وامتداد الصورة البصرية وغناها الدلالي والفني والعجالة في صناعة مسلسل تلفازي يبدأ العمل على تقديمه قبل مجيء شهر رمضان بشهر او شهرين واحيانا يتم بث حلقات المسلسل والتصوير مازال مستمرا خلال شهر رمضان والعمل يتم مونتاجه بعجالة لا تأمل فيها ولاتروي فتقع الاخطاء ويتجلى الارباك في اكثر من مفصل من مفاصل العمل ..بعد كل هذه المصاعب تأتي المصاعب الاخرى وهي التي تتعلق بحقوق الفنان العراقي .فبعد ان اهدرت الفضائيات العراقية حرمة الدراما العراقية وتهاونت فيها،أجرمت بحق الفنان العراقي فحكمت مديري الانتاج ومنفذيه في رقاب الفنانين . فكان أن أبعد بعضهم واقصى وبعضهم الاخر ممن ارتضى التعامل وخضع للمساومة دفع ثمن اذعانة باهظا اذ تضألت الاجور حتى وصل الامر باحد المخرجين وهو ايضا المنتج المنفذ للمسلسل التلفازي ان دفع للفنان العراقي مبلغ عشرين دولارا عن الحلقة الواحدة في الشقيقة سوريا . دون وازع من ضمير اومحاسبة ومتابعة من الفضائية التي اناطت اخراج العمل الفني به.وبقي التعامل مع الفنان العراقي يتم حسب الامزجة والاهواء والعلاقات القائمة على المنفعة والمساومة والرضوخ مابين الجهات المنتجة والمنفذة للاعمال الدرامية والفضائيات العراقية وبين الفنان العراقي .ليس ثمة عقود تبرم مابين الطرفين تحفظ لكل ذي حق حقه .ليس ثمة نقابة قادرة على الدفاع عن حقوق الفنان العراقي .ليس ثمة وزارة ثقافة قادرة على الحدمن الالا نضباط واللا احترام للمتلقي العراقي والحفاظ على تراث شعب وثقافة وطن يخضع لجور احتلال.ليس ثمة منفذ للامان والعمل امام الفنان العراقي وليس ثمة من يحاسب تلك الفضائيات على ماتقدم وتضع الضوابط والقوانين التي تحفظ للدراما العراقية وجهها الناصع لتكون وسيلة من وسائل التوعية والتثقيف والتوجيه لما فيه جمع الشمل وزرع الامل وغرس بذور المحبة بين الاهل والاخوان في الوطن الواحد .نحن لسنا مع الرقابة الصارمة التي تضع خطوطا حمراء وتكمم الافواه وتقمع العقول الحالمة بالحرية السلام لكننا مع الرقابةالتي تهذب وتصقل وتعتني بالجمال والفكر وتفتح كوة لضوء النهار في عتمة الاحتلال والارهاب والصبر المر. دعوة الى الفضائيات العراقية لاعادة النظر فيما تقدم وفيما تختار من اعمال وافكار وشخصيات ان تضع في اعتبارها قبل تحزبها وتوجهاتها الايديولوجية ومصالحها الخاصة ان تضع العراق والمواطن العراقي في محنة الاحتلال وخلط الاوراق ولجة الفوضى أمامها كي تختار بترو ومسؤولية ووعي ماينبغي عليها انجازه لان ماتقدمه وثيقة ومرجع لاجيال قادمة عليها ان تقرأ وتتعرف على التاريخ العراقي من خلال الصورة البصرية الدالة والنص الدرامي المكتوب ببصيرة نافذة لاتغفل الماضي وتستشف ما تنطوى عليه صفحات الايام القادمة فالمؤامرة التي يتعرض لها الوطن الان تدعونا لكي نكون بمستوى المسؤولية بعيدا عن السطحية والسذاجة والاستعراض الزائف والتهويلات الفارغة قريبا من نبض العراق وروحه المترعة بألق حضارة عريقة ومرارة احتلال معاصر. وضبابية مستقبل تزاحمت على بابه الاكف والاوراق .رفقا بالعراق ورفقا بالمتلقي ونهوضا بمستوى المخاطر والمحبة.